مَفْهُومُ القَرْيَةِ وَالمدِينَةِ فِي القُرْآنِ الكَرِيمِ

(دِرَاسَةٌ سِياقِيَّةٌ دَلالِيَّةٌ)

م.م. مقدام محمد جاسم البياتي

المديرية العامة للتربية - محافظة ميسان

فحوى البحث

من الألفظ التي توحي بالإعجاز اللغـــوي، ما ورد في القرآن الكريم من استعمال كلمة (قرية) في مواضع وكلمة (مدينة) في مواضع أخرى، وقد يَسْتعمل الكلمتين للاشارة الى موضع واحد لوجود فروق دلالية بين اللفظين، وإن سياق الآيات التي وردت فيهيا هاتان اللفظتان لا يمكن معه استبدال الواحدة بالأخرى، وهو ما سيتكفل البحـــث بيانه، بمقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على سيد الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أمّا بعدُ:

فقد اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى أن تكون معجزة رسول الله محمدﷺ كتاباً يُنذر به الخلق أجمعين، ويبيّن لهم سبيل الرشاد من سبيل الغي، ويهديهم إلى الصراط المستقيم، واقتضت الحكمة الإلهية أن تكون لغة هذا الكتاب هي اللغة العربية، لغة القوم الذين بُعِثَ الرسول الأكرم محمدﷺ إليهم، فجاء القرآن الكريم على وفق لغة العرب، وأساليبهم في الكلام، ولكي يبين القرآن الكريم عجز البشر عن الإتيان بمثل القرآن تحداهم في أن يأتوا بمثله، قال تعالى﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[سورة القصص ٤٩]، أو أن يأتوا بعشر سور من مثله، قال تعالى﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [سورة هود ١٣]، أو بسورة واحدة، قال تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[سورة البقرة ٢٣]، وقال تعالى﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[سورة يونس ٣٨]، فلم يستجبْ فصحاء العرب لهذا التحدي، وقرّرَ القرآن الكريم عجزهم في قوله تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[سورة الإسراء ٨٨]، ولم ينفِ العرب هذا العجزَ عنهم، ولم يكذِّبوا هذه الآية التي نسبت العجز لهم، بل أخذوا يكيلون التهم إلى نبي الإسلام محمدﷺ بأنَّه ساحر، أو مجنون، أو أنَّ معلماً علّمه القرآن، ثُمَّ ما لبثوا أن شنّوا على الرسول الأكرم وأتباعه الحروبَ، وأشاعوا فيهم القتل والتهجير والتنكيل.

وقد تمثل الإعجاز القرآني بجملة من

الأمور، منها الإعجاز البياني والإعجاز المعنوي والإعجـــاز العقلي والإعجاز العددي والإعجاز الغيبي.

ومنهـــا الإعجاز اللغوي، إذ إنَّ القرآن الكريم، مع أنَّه جرى على سنن العرب في كلامها، تميّز بأسلوب عالٍ من الفصاحة، ولغــة متسامية على اللغة المتداولة آنذاك، وصيـــاغات أدهشت الفصحاء، وأخذت بألبابهـــم وعقولهم معاً، وكان مبعث دهشـــة العرب هذه البلاغة العاليـــة التي اتصف بها القرآن الكريم، ممثلة بأساليبه المتقنة وألفاظه الجزلة، التي جاءت في مواضعها المناسبة بحيث لا يمكن استبدال غيرها بها.

خذ مثـــلاً على ذلك لفظتا (الوعد والوعيـــد)، وأنَّ الأولى استعملت في الثواب والأخرى استعملت في العقاب، ومثل ذلك لفظتا (الغيث والمطـــر) إذ استُعمِلَت الأولى في الخير واستعملـــت الأخـرى في الـشر، كـلّ ذلـك يبين لنا دقة القرآن الكريـم في اختيار ألفاظه، وتراكيبه، وصوره، وكلّ ذلك من أجـــل الغاية الأسمى التي جاء بها القرآن الكريم وهي هداية الأمة إلى سواء السبيل.

ومـــن الألـفـاظ الـتـي لمسنا فيها إعجازاً لغوياً ما ورد في القرآن الكريم من استعمال لفظة (قرية) في مواضع، واستعمال لفظة (مدينة) في مواضع أخر، وقـد يستعمل الكلمتين لـلإشـارة إلى موضع واحد، وما ذاك إلَّا لوجود فروق دلالية بين اللفظتين، وأنَّ سياق الآيات التي وردت فيهما هاتـــان اللفظتان، لا يمكن معه استبدال الواحدة بالأخرى، وهذا ما سيتكفل البحث ببيانه.

ومن أجل أن نحيط معرفة بمفاصل الموضوع، ارتأينا أن نقسّمه على مبحثين، مسبوقينِ بمقدمة، وتمهيـــد، وملحوقينِ بخاتمة.

أمّا المقدّمة فقد ذكرنا فيها جانباً من الكلام في إعجاز الـقـرآن وبيان خطة البحث، وأمّا التمهيد فقد تحدثنا فيه عن الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم.

وأمّـا المبحـــث الأول فقد تخصّص في معنى القرية والمدينة لغة وتعريفاً، إذ تضمن تعريف القرية والمدينة في استعمال العرب الذين يحتج بلغتهم، استناداً إلى ما

ورد في المعجمات العربية.

وأمّا المبحث الثاني فهو استقراء لمواضع اللفظتين في القرآن الكريم، مع دراسة كلّ موضع دراسة دلالية، ودراسة الفوارق بين استعمال القرآن للمفردتين.

وأمّا الخاتمة فقد تضمنت خلاصة الموضوع وأهم النتائج مع التوصيات، مع التأكيد على عدم الجزم بصحة ما توصلنا إليه، إذ يبقى الموضوع مجرد اجتهاد من عقل قاصر.

ولم أجرِ موازنةً بين الدلالة اللغوية لمفردة القرية والمدينة في القرآن الكريم واستعمالها في لغة العرب؛ توخياً للاختصار، ولعدم وجود الوقت الكافي للبحث.

وكانت مصادري من تفاسير القرآن الكريم ومعجمات اللغة العربية، وبعض الدراسات الأخرى التي تناولت الإعجاز القرآني.

وفي ختام هذه المقدّمة أسأل الله جل وعلا أن يرزقنا فهم القرآن الكريم فهماً صحيحاً سليماً، مستنداً على كلام أهل البيت عليهم السلام، وعلماء الإسلام المأمونين على تعاليمه، وأن يجعلنا من خدمة كتابه العظيم، بمحمد وآله الطاهرين.

التمهيد:

الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم:

تعدّدت وجوه الإعجاز في النص القرآني الكريم، حتى أوصلها السيوطي (ت٩١١هـ) إلى خمسة وثلاثين وجهاً، بسط فيها آراء العلماء، وجعلها أمّهات مسائل الإعجاز[1]، وكان من أوضح وجوه الإعجاز القرآني هو الإعجاز اللغوي.

فقد نزل القرآن الكريم بلغة العرب، إذ وصف القرآن الكريم نفسه بأنّه قرآن عربي في جملة من الآيات، منها قوله تعالى ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[سورة يوسف: ٢][2]، وبأنّه

(١) ينظر: المجلد الأول من معترك الأقران في إعجاز القرآن، فقد خصّصه المصنف بذكر خمسة وثلاثين وجهاً من وجوه الإعجاز القرآني مع ذكر الأمثلة له، وينظر: الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم بين التفسير والتأويل دلالات الجهر والهمس أنموذجاً: ٢٩٦.

(٢) ومثل هذه الآية الآيات الكريمات: طه

حكم عربي في قوله تعالى﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ﴾[سورة الرعد من الآية ٣٧]، وبأنَّه لسان عربي في قوله تعالى﴿ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾[سورة النحل من الآية ١٠٣]، وقوله تعالى﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[سورة الشعراء: ١٩٣ -١٩٥]، وقوله تعالى﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا ﴾[سورة الأحقاف من الآية ١٢].

ومع أنَّ القرآن الكريم نزل بلسان العرب ولغتهم، وعلى وفق أساليبهم في الكلام، مستعملاً حروفهم وكلماتهم، إلَّا أنَّه تميَّز بجمال سبْكه، وعلوِّ رتبته في الفصاحة، وابتداع معانٍ لم تصل العربُ إليها، مع لغة سامية تأخذ بالألباب والأرواح معاً، وقد أذعن لبيان القرآن الكريم ولغته العالية وجمال تعبيره فصحاءُ العربِ أجمعُ، وعجزوا عن أن يناظروه أو يعارضوه، واكتفوا من كلّ التحديات التي تحداهم بها القرآن الكريم

١١٣، الزمر ٢٨، فصّلت ٣، الشورى ٧، الزخرف ٣.

أن وصفوه بأنَّه أساطير الأولين، ورموا رسول الله ﷺ بالجنون تارة وبالشعر تارة أخرى، وقالوا في ما قالوا: بأنَّ معلماً من أهل الكتاب علّمه، إلى غير ذلك من الحجج الواهيات.

ومن وجوه الإعجاز الغوي ما تمثّل باستعمال القرآن الكريم لألفاظ مخصوصة في مواضع معينة، لا يحسن غيرها في موضعها، كما في استعمال لفظة (الرياح) في الخير والتبشير، واستعمال لفظة (الريح) في الإنذار والعقوبة، وكما في استعمال كلمة (مطر) في مواضع العقاب، و(الغيث) في مواضع الثواب، واستعمال لفظة (زوجة) في ما إذا كانت العلاقة مبنية على المودة والرحمة والانسجام، واستعمال لفظة (امرأة) في ما إذا كانت العلاقة بين الزوجين غير منسجمة، وغير ذلك من الأمثلة الكثيرة التي نوّه بها المفسرون والمهتمون ببلاغة القرآن وإعجازه وبيانه.

فالتعبير القرآني ((تعبير فني مقصود، كلّ لفظة بل كل حرف فيه وُضِعَ وضعاً فنياً مقصوداً، ولم تُراعَ في هذا الوضع

الآيـة وحدها ولا السـورة وحدها بل روعـي في هـذا الوضع التعبير القرآني كـلّـه))[٣]، وبالتالي لا يكون للترادف محلّ في الـقـرآن الكريم؛ إذ كـل كلمة فيه موضوعة بحساب وقـدر دقيقينِ، توخّى فيه القرآن الكريم بلوغ الغاية في الفصاحة والبلاغة، ولا يظهر هذا الأمر إلّا لمن رزقه الله تعالى فهْم كتابه العزيز، بعد أن يتسلح بالعِدَّة الضرورية للتفسير.

وقـد أشـار المـفسرون إلى جملة من النكات اللغوية التي عُـدَّت من باب الإعجاز اللغوي في القرآن، كالزمخشري (ت٥٣٨هـ) في الكـشّـاف، ابـن عطية الأندلسي (ت٥٤١هـ) في المحرر الوجيز، وأبي حيان الأنـدلسي (ت٧٤٥هـ) في البحر المحيط، والآلوسي (ت١٢٨٠هـ) في روح المعـاني، والطاهر بـن عاشور (ت١٣٩٠هـ) في تفسيره (التحرير والتنوير).

ومـن المعـاصريـن نـجـد الـدكـتـور فاضل صالح السامرائي قد أولى جانب الفروق الدلاليـة بين الألفاظ التي قد تبدو مترادفة في القرآن الكريـم عناية كبيرة في مؤلفاته، ومحاضراته، ولقاءاتـه التلفزيونية، فقد تلمّس الفـروق في استعمالات الـقـرآن للكريـم لبعض الألفاظ والصيـغ والتراكيب، مستنداً إلى السياق الذي وردت فيه، ومستضيئاً بأقوال المفسرين وأئمـة اللغة، وقد فتح للدارسين بصنيعه هذا باباً من العلم نافعاً، فجزاه الله خيراً.

ومـع كلّ ما في القرآن الكريم من وجـوه الإعجاز التي نبّه عليها العلماء قديماً وحديثاً، نجد من المعاصرين من ينفي صفة الإعجـاز عنه، كالدكتور جورج طرابيشي في كتابـه (المعجزة أو سبات العقل في الإسـلام)، مدّعياً أنَّ الرسولﷺ نبيّ بلا معجزة[٤].

ومن المعاصرين أيضاً منذر عيّاشي في كتابـه (القرآن والتلقي من الإعجاز والمجاز إلى الأسطورة والخرافة) الذي تأثّر فيه أيّما تأثّر بجورج طرابيشي.

والحق أنَّ الحجج التي جاء بها هؤلاء

(٣) التعبير القرآني: ١٠، وينظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني: ٤.

(٤) المعجزة أو سبات العقل في الإسلام: ١١.

وغيرهم لنفي الإعجاز القرآني قد ذكرها علماؤنا في مصنفاتهم، قبل أن ينطقوا بها، وردّوها، ولعلّ أفضل من بحث إعجاز القرآن الكريم من المعاصرين وردّ حجج النافين لإعجازه هو السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي (ت١٤١٢هـ) في كتابه القيّم (البيان في تفسير القرآن)[٥].

المبحث الأوّل:

القرية والمدينة لغةً وتعريفاً:

من أجل معرفة المقصود بلفظتي (قرية) و (مدينة) رجعنا إلى المعجمات العربية لنتعرّف على ما أوردته من تفسير وشواهد لهما.

القرية والمدينة لغةً:

لنبدأ بلفظة (قرية)، فقد أشارت معظم المعجمات إلى أنَّ (القرية) من مادة (قَرَى) بمعنى (جَمَعَ)، وبعضهم عزاها إلى مادة (قَرَو)، فقد بحثها الخليل في مادة (قرو) من كتاب (العين)، وقد فسّر (القُرَى) في قوله تعالى﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾[الكهف من الآية ٥٩] بـ((الكُوَر والأمصار والمدائن))[٦]، ثم نرى ابن فارس (ت٣٩٥هـ) في المقاييس أورد معنى القرى تحت مادتي (قرى، وقرو)، قال: ((القاف والراء والحرف المعتل أصلٌ صحيحٌ يدلّ على جمع واجتماع. من ذلك القرية سمّيت قرية لاجتماع الناس فيها، ويقولون: قريت الماء بالمقراة: جمعته، ... ومن الباب القرْو وهو كلّ شيء على طريقة واحدة، تقول: رأيت القوم على قرو واحد، ... ومن الباب القَرَى: الظهر، وسمِّي قرًى لما اجتمع فيه من العظام))[٧]، إذن دلّت المادة هنا على التجمع واتخاذ الطريقة الواحدة.

ونرى ابن فارس قد جعل مادة (قَرَى) و(قَرُوَ)، تحت باب واحد، بل جعل تحت هذا الباب أيضاً مادة (قَرَأَ).

أمّا الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ) فقد فصل بين المادتين (قَرَى) و (قَرُوَ)، حسب المنهج الذي رسمه لكتابه في خطبة الكتاب إذ قال: ((ومن أحسن ما

(٥) ينظر: البيان في تفسير القرآن: ٣٣-١١٩.

(٦) العين: ٥/ ٢٠٤.

(٧) مقاييس اللغة: ٥/ ٧٨.

اختصّ به هذا الكتاب تخليص الواو من الياء، وذلك قسم يَسِمُ المصنفين بالعيّ والإعياء))[٨]، من أجل ذلك بحث معنى (القرية) في مادة (قَرَى)، قال: ((القرية المِصْرُ الجامع،... وقرية النمل مجتمع ترابها، وقرية الأنصار المدينة... وقرى الماء في الحوض يقريه قرياً وقرًى جمعه))[٩]، وقال الطريحي (ت١٠٨٥هـ) في مجمع البحرين: ((القرية: الضَيْعَة والمدينة، سُمّيت بذلك لأنَّ الماء يقرى فيها أي: يجمع))[١٠]، ولم يخرج الزبيدي (ت١٢٠٥هـ) صاحب التاج عن المعنى الذي أورده المعجميون قبله للقرية، غير أنّه أورد تعريفاً لابن الأجدابي (ت٤٧٠هـ) في كفاية المتحفظ، قال: ((وفي كفاية المتحفِّظ: القرية: كلّ مكان اتصلت به الأبنية، واتُّخِذَ قراراً، وتقع على المدن وغيرها أ. هـ))[١١]، ولكننا نرى ابن الأجدابي قد عرّف بـ(القرية) في كتابه (الكفاية) من دون ذكر لعبارة: وتقع على المدن وغيرها[١٢]، ومع زيادة لم يذكرها الزبيدي تبين أنَّ جمع قرية على قُرًى، ولعلّ نسخة الزبيدي من الكفاية تختلف عن المطبوعة المتداولة الآن.

أمّا المدينة فقد ذكر المعجميون أنّها من مادة (مَدَنَ)، قال الخليل: ((المدينة فَعِيلَة تُهْمز في الفَعَائِل،... وكلّ أرضٍ يُبنى بها حصن في اصطُمَّتها[١٣] فهو مدينتها))[١٤]، وقال ابن فارس: ((الميم والدال والنون ليس فيه إلّا مدينة، إن كانت على فعيلة، ويجمعونها مُدُناً. ومدَّنتُ مدينةً))[١٥]، وقال الفيروزآبادي: ((مَدَنَ أقام... ومنه المدينة للحصن يبنى في أُصطُمَّة أرض))[١٦]، وقال الطريحي: ((ومدَّن [كذا بالتضعيف] الرجل بالمكان: أقام به، ومنه سمّي المدينة وهي فَعِيلَة

(٨) القاموس المحيط: ١/ ٣-٤.
(٩) القاموس المحيط: ٤/ ٣٧٧.
(١٠) مجمع البحرين: ٣/ ٥٠٠.
(١١) تاج العروس: ٣٩/ ٢٨٢.
(١٢) ينظر: كفاية المحفِّظ: ١٧٢.
(١٣) الأُصطُمَّة للشيء: معظمه أو مجتمعه أو وسطه.
(١٤) العين: ٨/ ٥٣.
(١٥) مقاييس اللغة: ٥/ ٣٠٦.
(١٦) القاموس المحيط: ٤/ ٢٧٠، وينظر: بصائر ذوي التمييز: ٤/ ٤٩٠.

من مدّن وقيل: مَفْعِلة من دان))[17]، ولم يخرج الزبيدي عمّا قاله المعجميون قبله[18].

القرية والمدينة تعريفاً:

مما تقدّم نرى بعض المعجميين قد عرّفوا باللفظتين، كما رأينا في كلام ابن الأجدابي في تعريف القرية الذي نقله عنه الزبيدي، وهو تعريف مأخوذ من المعنى اللغوي، وهي عنده مرادفة للمدينة بحسب كلام الزبيدي.

وممّن عرّف بالقرية أيضاً الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) في (المفردات)، قال: ((القرية اسم للموضع الذي يجتمع فيه الناس، وللناس جميعاً، ويستعمل في كلّ واحدٍ منهما))[19]، ونلاحظ هنا أنَّ الراغب قد جعل لفظ (القرية) شاملاً للموضع وللناس معاً، أمّا المدينة فلم يعرّف بها في كتابه، وإنّما اكتفى بالكلام على جمعها واشتقاقها ووزنها، مع ذكر بعض الآيات القرآنية[20].

(١٧) مجمع البحرين: ٤/ ١٨١.
(١٨) ينظر: تاج العروس: ٣٦/ ١٥٦.
(١٩) المفردات في غريب القرآن: ٤١٩.
(٢٠) ينظر: المصدر نفسه: ٤٨٥.

ومن التعريفات أيضاً ما أورده صُنّاع المعجم الوسيط إذ جاء فيه: ((القرية) المِصْرُ الجامع، وكلّ مكان اتصلت به أبنية واتخذ قراراً، وتقع على المدن وغيرها))[21]، وهو قريب من تعريف ابن الأجدابي، وقالوا في تعريف المدينة: (((المدينة) المِصْرُ الجامع (ج) مَدَائِنُ و مُدُنٌ، واسم يثرب مدينة الرسول ﷺ غلبت عليها))[22].

نرى في تعريفي (المعجم الوسيط) أنَّه عرّف القرية والمدينة كلاهما بالمصر الجامع، فهما مترادفتان هنا، كما في تعريف ابن الأجدابي الذي نقله الزبيدي، والحق أنّهما ليستا مترادفتين؛ بدليل ما جاء في كلام المعجميين، وما سيجيء في القرآن الكريم من استعمال هاتين المفردتين، إذ أكسبهما القرآن الكريم دلالة جديدة غير التي استعملها صُنّاع المعاجم.

المبحث الثاني:

القرية والمدينة في القرآن الكريم

سنتناول في هذا المبحث مفهومي

(٢١) المعجم الوسيط: ٧٣٢.
(٢٢) المصدر نفسه: ٨٥٩.

القرية والمدينة في القرآن الكريم في ضوء السياق الذي وردت فيه هاتان اللفظتان، وهل هما مترادفتان كما ذهب إلى ذلك بعض المفسرين، أم هل أنّ لكل لفظة معنى خاص في القرآن لا تصلح غيرها بدلها؟. وسنبدأ بمفهوم القرية ثم بمفهوم المدينة، كل ذلك في ضوء الآيات القرآنية الكريمة.

أوّلاً: مفهوم القرية في القرآن الكريم:

وردت لفظة (قرية) في القرآن الكريم (٥٦) مرّة وفق التفصيل الآتي: (قرية) (٢٣) مرّة، و(القرية) (١٠) مرّات، و(القريتين) مرّة واحدة، و(قرى) مرّتان، و(القرى) (١٧) مرّة، (قريتك) مرّة واحدة، و(قريتكم) مرّتان.

والمعنى العام الذي تعطيه هذه الآيات الشريفة للقرية هو اجتماع أهلها على حال معينة، في الحق كانت أو في الباطل، من دون مخالف لهم أو معترض عليهم أو كاره لفعلهم.

فقوم سيدنا يونس(عليه السلام) تابوا كقلب رجل واحد فهم أهل قرية، قال تعالى﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾[سورة يونس ٩٨]، أي ثبت أمرهم على الإيمان، وقوم سيدنا لوط(عليه السلام) استحسنوا فعلتهم وتعاهدوا عليها فسمّاهم القرآن (قرية)، قال تعالى﴿وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ﴾[سورة الفرقان من الآية ٤٠]، وهذه القرية من قرى سدوم[٢٣]، فالأولى في الخير والثانية في الشر.

وهذا هو المعروف إلى اليوم في القرى وتمسكها بعادة أو فكر أو عرف أو عقيدة معينة، مما لا يكون في المدينة مثله.

أمّا (المدينة) في القرآن الكريم فاستعمالها يوحي بوجود الاختلاف بين الأهلينَ فيها، على مستوى العقيدة أو الخُلُق، حتى مع وجود رجل واحد مخالف، كما سنرى في الآيات التي سندرسها، ومن أوضح الأمثلة على هذه الدعوى ما ورد في قصة سيدنا موسى(عليه السلام)

(٢٣) ينظر: مجمع البحرين: ٣/ ٤٩٩.

مع العبد الصالح، في سورة الكهف المباركة، إذ سمّى القرآن الكريم الموضع الواحد بتسميتين، قال تعالى: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا ﴾ [سورة الكهف من الآية ٧٧]، وجاء في التفسير أنّها قرية أنطاكية[٢٤]، فعبّر القرآن عنهم بأهل قرية لما اجتمعت كلمة البخل فيهم، ثم قال تعالى﴿ وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ﴾[سورة الكهف من الآية ٨٢] فعبّر عن الموضع نفسه بالمدينة، إذ اختلفت حالات ساكنيها وتنوعت لمّا أدخل فيها ذكر الطفلين اليتيمين، إذ حالهما مخالف لحال القوم فحَدَثَ التنوّع الأخلاقي، ولزم تغيير الصفة بتغيّر حال الموصوف.

ومثله ما في سورة يس المباركة، قال تعالى ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴾ [سورة يس: ١٣]، فقد جاء في التفسير أنَّها قرية أنطاكية[٢٥]، وكان أهلها يعبدون الأوثان[٢٦]، فهي قرية لمّا اجتمعت كلمة أهلها على الكفر وتكذيب المرسلين، ثمَّ لمّا ادْخَلَ في القصة ذاك الرجل المؤمن القوي الذي بارزهم بالحق مبارزة الرسل، ولم يخشَ بأسهم تغيّر اسم المكان لأجله فصارت مدينة، قال تعالى﴿ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾[سورة يس: ٢٠]؛ لأنَّها حَمَلَتْ عقيدتين: حق وباطل.

ومما يُلاحظ من تفريق القرآن الكريم بين لفظتي (القرية) و(المدينة) أنَّه لم يرد قطُّ في القرآن إهلاك مدينة، وما نزل بلاء إلا على قرية، مهما كبرت أو صغرت، قال تعالى﴿ وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ﴾ [سورة الأعراف ٤]، وقال تعالى﴿ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ﴾[سورة الحجر:

(٢٤) وقيل: هي الأبلة، أو الجزيرة الخضراء وهي من الأندلس، أو برقة أو باجر أو أرمينية من أرض الروم، ينظر: تبصير الرحمن وتيسير المنان: ١/ ٤٥٣.

(٢٥) ينظر: المصدر نفسه: ٢/ ١٨٣، وقد عبر المصنف عنها بـ(القرية المعروفة بمزيد الخباثة).

(٢٦) ينظر: تفسير غريب القرآن الكريم: ٥٩، ومجمع البحرين: ٣/ ٤٩٩.

٤]، وقال تعالى﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ [سورة النحل: ١١٢]، وقال تعالى﴿ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴾ [سورة الإسراء من الآية ٥٨]، وقال تعالى ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾ [سورة الأنبياء: ١١]، وقال تعالى﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ [سورة الحج من الآية ٤٥]، وقال تعالى﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ﴾ [سورة القصص من الآية ٥٨]، وقال تعالى﴿ وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ﴾[سورة الفرقان من الآية ٤٠]، وقال تعالى﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ﴾[سورة العنكبوت من الآية ٣١]، وقال تعالى﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ [سورة العنكبوت: ٣٤]، وهذا معناه أن أهل تلك القرى، قد أجمعوا على باطل معين ولم يتناهوا عنه، فحقَّ عليهم العذاب، بخلاف (المدينة) التي قد يكون فيها جماعة صالحة، أو فرداً صالحاً، فيدفع الله العذاب عن هذا الموضع من أجل هؤلاء الصالحين.

ومن موارد الاختلاف بين لفظتي (القرية) و (المدينة) أنَّ الله جلّ وعلا لا يبعث الرُسُل إلّا إلى (قرية)، إذا ما أراد ذكر الموضع، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾ [سورة الأعراف: ٩٤]، وقال تعالى﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴾ [سورة الفرقان: ٥١]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴾ [سورة الشعراء: ٢٠٨]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾ [سورة سبأ: ٣٤]، وقال

تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴾ [سورة الزخرف: ٢٣]، نجد في كل هذه الآيات أنَّ إرسال الرُسُل لا يكون إلّا للقرية، وأنَّ الغاية من بعث الرُسُل هي إنذار القرى، والسبب في هذا واضح، إذ إنَّ القرى قد اجتمع أهلها على الباطل، ومعصية الله تعالى، ولا يوجد فيهم من ينهاهم عن فعلهم ويبين لهم الصواب، فحقّت كلمة الله تعالى أن يبعث فيهم من يهديهم.

ومن هنا ندرك لِمَ سمّى القرآن الكريم مكّةَ بـ(القرية) و (أم القرى) في مواضع، وسمّاها بأسماء أخرى في مواضع أخر؟، قال تعالى﴿ وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرٗا ﴾ [سورة النساء من الآية ٧٥]، فقد ذكروا أنَّ القرية هنا هي مكة[٢٧]، وقال تعالى﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ﴾ [سورة الزخرف: ٣١]، إذ ورد أنَّ القريتين هما: مكّة والطائف[٢٨]، وقال تعالى﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا ﴾ [سورة الأنعام من الآية ٩٢]، وقال تعالى﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا ﴾ [سورة الشورى من الآية ٧]، وأمّ القرى هي مكّة المكرّمة سمّيت بذلك لأنّها أصل القرى، أو لأنّها أشرفها، وقال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةٗ مِّن قَرۡيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَتۡكَ ﴾ [سورة محمد: ١٣].

نرى في هذه الآيات تسمية مكّة بـ(القرية)، وهي تسمية بالوصف لا باسمها المتعارف، ونلاحظ من سياق الآيات أنّها وردت في مقام الذمّ، وهذا واضح في الآية من سورة النساء، إذ وصفها القرآن بالظلم، وفي آيتي الأنعام والشورى علّل القرآن الكريم إرسال الرسول وإنزال القرآن الكريم لإنذار أهل مكّة ومن حولها، والإنذار لا يكون

(٢٧) ينظر: مجمع البحرين: ٣/ ٤٩٩.

(٢٨) ينظر: المصدر نفسه: ٣/ ٥٠٠.

إلّا لمن قارب الحد في الطغيان، أمّا في سورة محمدﷺ ففيها من التعريض بمكّة على ما فعلته مع رسول اللهﷺ ما يغني عن البيان، وذلك في قوله﴿ قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ ﴾.

بينما نرى القرآن الكريم قد سمّى مكّة بأسماء آخر تناسب السياق الذي وردت فيه هذه الأسماء، فقد سمّاها بـ(البلد) و(البلد الأمين)، قال تعالى﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴾[سورة البلد: ١ -٢]، وقال تعالى﴿ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾ [سورة التين: ٣]، وسمّاها (معاد) في قوله تعالى﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[سورة القصص من الآية ٨٥]، فقد اختلفت التسمية لاختلاف المناسبة التي ورد فيها اسم الموضع.

ومما تفترق به القرية عن المدينة في القرآن الكريم أنَّ القرآن دائماً ما يصف القرية بأجمعها بصفات معينة، كالإيمان، والظلم، والعدوان، قال تعالى﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ ﴾ [سورة يونس من الآية ٩٨]، وقال تعالى﴿ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا ﴾[النساء من الآية ٧٥]، وقال تعالى﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ ﴾[سورة الأعراف من الآية ١٦٣]، وقال تعالى﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾[سورة هود: ١٠٢]، وقال تعالى﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾[سورة الكهف: ٥٩]، وقال تعالى﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴾[سورة الأنبياء: ٧٤]، ﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾[سورة العنكبوت: ٣٤]، وقال تعالى:﴿ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾[سورة القصص: ٥٩]، إلى غير ذلك من الآيات، فقد عبّر القرآن الكريم عن أهل القرية بالقرية، وعن

أهل القرى بالقرى؛ وذلك للدلالة على أنَّ التجمع البشري في هذه المواضع قد اتفقوا على ممارسة فعل معين، من أجله أصبح مكانهم يدلّ على فعلهم، فهذه القرية آمنت لأنَّ أهلها مؤمنون، وهذه القرية ظالمة لأنَّ أهلها ظالمون، وتلك القرية موصوفة بعمل الخبائث لأنَّ أهلها يعملون الخبائث، فوُصِفَ الموضع بصفة أهله.

وقد تبدو بعض الآيات خارجة عن المفهوم الذي تقدّم، فسنتناول بعض الآيات التي قد لا يوافق ظاهرها ما جاء في ما تقدّم، أمّا الآيات التي وردت بها لفظة (القرية) فهي:

١. قال تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ [سورة البقرة من الآية ٥٨]، ومثلها قوله تعالى﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾[سورة الأعراف: ١٦١]، وهذه القرية هي الموضع نفسه في قوله تعالى﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ﴾ [سورة المائدة من الآية ٢١]، وقد قيل بأنَّ المقصود بـ(القرية) في الآية الكريمة هي بيت المَقْدِس، وقيل: أريحا، وقيل: أرض مصر[٢٩]، وأولى الأقوال الأوّل[٣٠]؛ لدلالة الآية من سورة المائدة عليه، وقد سمّاها القرآن بـ(القرية) للإشارة إلى قدسية هذه الأرض التي تحدّث عنها في سورة المائدة، فهي قد اتصفت بصفة معينة وهي القداسة التي جاءت من أهلها ومن حلّ فيها وهم الأنبياء وأتباعهم.

٢. قال تعالى﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ ﴾[سورة البقرة من الآية ٢٥٩]، والمقصود بـ(قرية) هنا هي: بيت المقدس، وقيل قرية أخرى[٣١]، وتدلّ كلمات المفسرين على أنّ سكانها كانوا من أتباع موسى غزاهم بختنصّر وسباهم إلى بابل، فهم بذلك ممن كانوا على دين واحد

(٢٩) ينظر: الكشاف: ٧٨، تفسير الرازي: ٣/ ٩٤.

(٣٠) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ٢/ ٩٣.

(٣١) ينظر: تفسير الرازي: ٧/ ٣٤، وتبصير الرحمن وتيسير المنان: ١/ ٩٢.

وشريعة واحدة وهي اليهودية[٣٢].

وأمر آخر في استقامة هذه القرية على أمر واحد وهو: (الخواء)، إذ وصفها القرآن بأنّها (خاوية على عروشها) وهذا وصف للقرية كلّها بسكانها وأبنيتها، وهو مأخوذ من خوى البيت إذا خلا من أهله، وهنا نرى تشابه هذه الآية مع بعض الآيات التي أعطت صفات معينة للقرى، كالإيمان أو الظلم والاعتداء، كما تقدّم.

٣. قال تعالى﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا ﴾[سورة يوسف من الآية ٨٢]، وهو كلام إخوة يوسف عليه السلام لأبيهم نبي الله يعقوب عليه السلام ويقصد القرآن بالقرية المدينة التي كان فيها يوسف عليه السلام، والتي خلّفوا فيها أخاهم بنيامين أيضاً، وهما من الصالحين، فكيف سمّى القرآن الكريم هذه المدينة بالقرية مع وجود النبي يوسف عليه السلام وأخيه فيها؟، والجواب أنَّ إخوة يوسف لا يعلمون بوجود أخيهم النبي فيها فاقتضى أن يطابق القرآن الكريم اعتقاد هؤلاء، ولأنَّهم رأوا هذه القرية على غير شريعة بني إسرائيل التي يمثلها نبي الله يعقوب عليه السلام.

ثانياً: مفهوم المدينة في القرآن الكريم:

تقدّم في أثناء دراستنا لمفهوم القرية في القرآن الكريم وجه الاختلاف بين القرية والمدينة، وقد تكلّمنا في مفهوم المدينة بشيء من الإيجاز مع عقد موازنة بين الاستعمالين من خلال الآيات الكريمة التي تضمنت هاتين اللفظتين، وهنا سندرس (المدينة) بصورة أكثر تفصيل.

وردت لفظة (المدينة) معرّفة بـ(ال) (١٤) مرّة في القرآن الكريم، وهي في كل مواضعها تدلّ على أنَّ سكان المدينة ليسوا على مستوى واحد في الدين أو العرف أو الخُلُق، أي يوجد تباين واختلاف بين السكان، بل حتى لو كان، أو مرَّ، في المدينة رجل واحد يخالف ما عليه سائر السكان يسمّي القرآن الكريم هذا الموضع بالمدينة لأجل هذا الواحد،

(٣٢) ينظر: تفسير الرازي: ٧/ ٣٤.

وقد تقدّم بيان هذه المسألة، وذكرنا بعض الآيات التي وردت فيها لفظة (مدينة) كما في سورة الكهف وسورة يس، وبينا سبب عدول القرآن الكريم من لفظ إلى لفظ هناك، وبقيت شواهد أخرى للموضوع نتناولها في ما يأتي:

١. قال تعالى﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾[سورة الأعراف: ١٢٣]، لمّا آمن السحرة بنبي الله موسى عليه السلام، أصبح الناس في المدينة صنفين: نبي الله موسى عليه السلام وأتباعه ومنهم السحرة المؤمنون حديثاً، وفرعون وأتباعه؛ ولذلك سمّاها القرآن (مدينة).

٢. قال تعالى﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾[سورة التوبة: ١٠١]، سمّى القرآن الكريم المدينة بهذا الاسم لوجود رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام وأصحابه، من جانب، ووجود المنافقين واليهود من جانب آخر؛ فمن أجل هذا التنوع سميت يثرب في القرآن بـ(المدينة)، ومثل هذه الآية ما جاء في قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ [سورة التوبة: ١٢٠]، وقوله تعالى: ﴿ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[سورة الأحزاب: ٦٠]، وقوله تعالى﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ﴾[سورة المنافقون: ٨]، في كل هذه الآيات سُمِّيَت المدينة بـ(المدينة) لما فيها من تنوع ديني وثقافي واجتماعي، أمّا لو أُريد تخصيص (المدينة)، أي مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله، بطبقة معينة سُمّيت حينئذٍ قرية، قال الفيروزآبادي:

((وقرية الأنصار المدينة))[٣٣].

أمّا ما ورد في قوله تعالى﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَـٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ﴾[سورة الأحزاب ١٣]، إذ سمّى القرآن الكريم مدينة الرسول ﷺ باسمها القديم، أي: يثرب؛ وذلك لأنَّ القرآن الكريم أورد كلام المنافقين الذين قالوا هذا القول، وفيه بيان لما تطويه أنفسهم من حقد على الرسول الأكرم ﷺ حتى سمّوا المدينة التي تشرفت بحمل اسمه المبارك باسمها الجاهلي القديم.

٣. قال تعالى﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ [سورة يوسف من الآية ٣٠]، هنا سمّى القرآن الكريم أرض مصر بـ(المدينة) على لسان صاحبات زليخا؛ لأنَّ نسوة المدينة لم يتفقْنَ على المراودة، إذ منهنَّ القائلات﴿ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [سورة يوسف من الآية ٣١]، وهنا حصل التنوع في الموقف تجاه نبي الله يوسف عليه السلام، ونزاهته وبراءته، ومن هنا ندرك لِمَ سمّى القرآن الأرض الواحدة (قرية) كما جاء على لسان إخوة يوسف، كما تقدّم، و(مدينة) كما جاء على لسان صاحبات زليخا.

٤. قال تعالى﴿ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾[سورة الحجر: ٦٧]، سمّى القرآن الكريم قُرى سدوم وأهلها بـ(أهل المدينة) لمّا نزل فيها الملائكة، وكان فيها أيضاً أهل بيت نبي الله لوط عليه السلام، ولم يكن هؤلاء على سجيّة قوم لوط وأفعالهم، إلّا امرأته.

٥. قال تعالى﴿ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾[سورة النمل: ٤٨]، في الآية الكريمة، مع أنَّ السياق يتحدّث في ذم ثمود قوم نبي الله صالح عليه السلام، إلّا أنَّ القرآن سمّاها (المدينة) لما فيها من القوم الأتقياء أصحاب النبي صالح عليه السلام، هذا ما أوضحته الآية السابقة على هذه الآية، قال تعالى: ﴿ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ

(٣٣) القاموس المحيط: ٤/ ٣٧٧.

تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾[سورة النمل من الآية ٤٧]، وهي صريحة في أنَّ نبي الله صالح عليه السلام معه أتباع في مدينته يؤازرونه في دعوته.

٦. قال تعالى﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾[سورة القصص من الآية١٥]، دلالة الآية واضحة في أنَّ أصحاب هذه المدينة فئتان، فئة من قوم موسى عليه السلام وهم بني إسرائيل، وفئة أخرى هم أتباع فرعون أي الأقباط، وهم ليسوا على وفاق، ومن هنا حدث التنوع والاختلاف بين أهل هذه المدينة، فصنْفٌ يمثّل الطبقة المهمّشة والفقيرة وهم بني إسرائيل، وصنْفٌ يمثّل الطبقة الحاكمة ورعاياها وهم فرعون وحاشته والأقباط.

ومثل ما تقدّم قوله تعالى﴿ فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾[سورة القصص من الآية ١٨]، وهي المدينة عينها في قوله تعالى أيضاً﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [سورة القصص: ٢٠].

الخاتمـــــة:

بعد هذه الرحلة الماتعة في رحاب القرآن الكريم، الكتاب الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[سورة فصّلت: ٤٢]، نلتمس من آياته المباركة ما يمكن أن يفسّر لنا بعض المصطلحات والمعارف، ويبهرنا ببيانه العجيب والمعجز، كيف لا وقد قال الله تعالى فيه﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [سورة هود: ١].

وقد تعدّدت صور الإعجاز القرآني، ومنها الإعجاز اللغوي، الذي نتبين فيه مدى دقّة القرآن الكريم في اختيار الألفاظ والتراكيب، وأنَّ اللفظة الواحدة توضع في المكان المناسب لها، ولا يصلح غيرها بدلها؛ إذ لا تتأتى الدلالة المناسبة إلّا بها، ومن ذلك لفظتي (القرية) و(المدينة) في القرآن الكريم.

والقريــة مشتقة من (قَـرَى) بمعنى (جَمَعَ)، ومدينة مشتقة من (مَدَنَ) بمعنى (أقَــامَ)، ولكنّنا نلاحظ أنَّ مفهوميهما اختلف في القرآن الكريم.

إذ نـلاحـظ أنَّ الـقـرآن الكريم لا يستعمل لفظة (قرية) إلّا للموضع الذي يحمل صفة واحدة، يتصف أهلها بها، في الخير كانت أو في الشرّ، وأنَّ الإهلاك لا يكون إلّا للقرية، وبعث الرُسُل مبشرين ومنذرين لا يكون إلّا للقرى، إذا ما أراد ذكر الموضع دون ساكنيه.

أمّا المدينة فهي الموضع الذي يحمل الاختلاف والتباين في سكانه، حتى لو كان المخالف رجلاً واحـداً، وقد ذكرنا شواهد هاتين المسألتين.

ولا ندّعي أنّنا أصبنا في تحليلنا للآيات الكريمة، بل يبقى القول مجـرّد محاولة في استنطاق القرآن الكريم في معرفة ما يعطيه من معانٍ ودلالات للكلمات التي يتضمنها.

وفي الختـام نـوصي ببذل المزيـد من العناية بلغة الـقـرآن الكريم، ودراسـة الـفـروق بـين الـكـلـمات الـتـي قـد تبدو مترادفة مثل (المرأة والزوجة)، و(البعث والإرسال)، وغيرها.

والله من وراء القصد

أهم مصادر البحث:

القرآن الكريم.

- الإعجاز اللغــوي في القرآن الكريم بين التفسير والتأويل، مجلة المصباح، العتبة الحسينية المقدّســة -كربلاء المقدّسة، ع٢٤ س١٤٣٧هـ-٢٠١٦م ص٢٩١-٣٠٨.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ)، تحقيق محمد علي النجار، لجنة إحياء التراث الإسـلامـي -الـقـاهـرة، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- بلاغة الكلمــة في التعبير القرآني، فـاضـل صـالـح الـسـامـرائـي، ط٢، العاتك لصناعة الكتاب -القاهرة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- الـتـعـبـير الـقـرآني، فـاضـل صالح الســامرائي، ط٤، دار عمّار -عمان، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

- البيان في تفسير القرآن، أبو القاسم الموسوي الخوئي (ت١٤٢١هـ)، ط٨، أنوار الهدى -إيران، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- تبصير الرحمن وتيسير المنّان بعض ما يشير إلى إعجاز القرآن، علي بن أحمد بن إبراهيم المهايمي (ت٨٣٥هـ)، طبعة بولاق في مصر، ١٢٩٥هـ.
- تفسير غريب القرآن الكريم، فخر الدين الطريحي (ت١٠٨٥هـ)، تحقيق محمد كاظم الطريحي، انتشارات زاهدي، د. ط، د. ت.
- كفاية المتحفِّظ في اللغة، أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل الطرابلسي المشهور بابن الأجدابي (ت٤٧٠هـ)، تحقيق السائح علي حسين، جمعية الدعوة الإسلامية، د. ط، د. ت.
- اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الدمشقي (ت بعد ٨٨٠هـ)، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط١، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق محمد علي البجاوي، دار الفكر العربي، د. ط، د. ت.
- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، ط٤، مكتبة الشروق الدولية القاهرة، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- مقاييس اللغة، أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر بيروت - لبنان، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.